ستيفين كينج و"المِيل الأخضر"

رقية نبيل عبيد

الرياض

الكل تقريبًا يعرف من هو، فحتى هؤلاء الذي لا يقرؤون كتبه شاهدوا أفلامه، أو الأفلام المبنية على قصصه.

ستيفين كينج كاتب الرعب الأكبر في جميع العصور، ليس من أحد لم يسمع عن "الشيء"، المخلوق الذي لا تسمية له الذي أبدعته مخيلته، والذي يظهر أفظع بكثير في روايته المكونة من ألف وخمسمائة صفحة، ويمزج فيها كينج بين الرعب الذي يهوى وبين ذكريات صباه الحلوة العذبة في ولاية ماين، أحلام ومخاوف وأسر وحيوات سبعة صبية يمرحون في الغابة ويكافحون لمجاهدة ظروفهم فضلًا عن مخلوق شرير يتغذى على رعب الأطفال، وكذلك كاري فتاته المملوءة بالعقد ذات قوى التحريك الغامضة روايته الأولى وبوابته نحو عالم النجاح والشهرة، وكريستين السيارة التي لها حياة خاصة بها وتستحوذ على روح سائقها ليلبي رغباتها طوال عمره ، وروايته ميزوري أو البؤس التي تأخذنا لدهاليز بيت ممرضة مجنونة يستيقظ في غرفه كاتب شهير كسر حوضه وقدماه جراء حادث طريق وعوضًا أن يستيقظ ليجد نفسه في مستشفى لائق إذا به يجد نفسه في بقعة مجهولة من العالم واقعًا في براثن خيالها المريض وترغمه الممرضة على إعادة إحياء بطلة رواية شهيرة قديمة له كان قد نسيها منذ زمن ولدهشته يفعل ويكتب بجودة وكثافة لم يختبرها لسنوات تحت تعذيب معجبته المخبولة، ويبدو أن تلك إحدى هواجس ستيفين المخيفة وقرر تحويلها إلى كتاب على سبيل إخراجها من رأسه وكسب الأموال معًا، في الحقيقة فإن كل مؤلفات ستيفين هي أشياء تثير رعبه أو اشمئزازه أو قلقه أو تمثل مخاوفه العظمى فيكتب عنها ليخيفنا معه كما يعترف في آخر كتابه "بُعيد الغروب".

الكل يعرف هذه الزاوية من الكاتب الشهير، أي الزاوية التي تعج بالوحوش والأشباح والأشياء الشريرة التي تخرج ليلًا أو تتسلل من تحت الفراش أو تقبع متربصة في الأزقة المظلمة الباردة، الأشياء التي يبرع في إعطائها أسماء وكيانات ويخلق لها قصتها، لكني أتساءل كم شخص يعرف ستيفين كينج ويدرك الجانب الدرامي الحياتي الرومانسي في أعماله الأقل شهرة، أعمال مثل "سجين شاوشنك" أو الرواية العظيمة عميقة التأثير له "المِيل الأخضر".

"الميل الأخضر" صدرت للمرة الأولى كرواية تسلسلية في ستة مجلدات عام 1966 قبل أن تصبح رواية واحدة.

حُولتْ لفيلم فيما بعد بالطبع وقد نجح الفيلم نجاحًا ساحقًا وحاز على أكثر من جائزة أوسكار، لكن ما في الرواية من عمق وسحر ووجود للشخصيات حتى تكاد تكون حقيقية تمامًا لا أظن أي فيلم بقادرٍ على تجسيد هذا، رواية الميل الأخضر تعكس مقدرة كينج الفائقة على التأليف والكتابة، حينما يترك الكاتب حقله الذي يبرع فيه ويجرب خوض غمار مجالات أخرى حينها تظهر عبقريته بالفعل وكينج أثبت هذا في كل صفحة من صفحات الميل الأخضر، الرواية هي مزيج من مذكرات رجل عجوز يحتضر ونتفة من القدرات الخارقة والمعجزات التي يحبها الكاتب ويؤمن بها كثيرًا، قصة عن وفاء الأزواج، عن الظلم، عن الشجاعة، عن الإخلاص وعن السجناء الذين يمكثون في زنازينهم ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام فيهم.

تحكي القصة عن الضابط "بول إيدكومب"، هو ضابط لكنه عمله غير اعتيادي حيث أن المساجين المسؤول عن حراستهم ليسوا كغيرهم، فهم قلة، عددهم لا يتجاوز ثلاثة أو أربعة وهم غاية في الخطورة لأنهم ليس لديهم ما يخسرونه، فعلى بعد ميل واحد فقط من زنزاناتهم يقبع كرسي الإعدام في انتظارهم ومهمة بول ورفاقه إبقاءهم هادئين حتى يحين موعدهم، القلة منهم يفرج عنهم قبلها، القلة القليلة جدًا جدًا، لكن أكثرهم يمضي في تؤدة نحو مقعده الأخير، وبين هذا المقعد الكهربائي المثير للقشعريرة وبين زنازين المساجين مسافة ميل واحد مغطى بسجاد أخضر قديم ولذا اعتاد بول ورفاقه أن يستخدموا تعبير "سوف يمشي الميل الأخضر" في إشارة إلى السجين الذي سوف يُعدم.

تحكي الحكاية عن "جون كوفي" السجين الأسود الضخم ذو القلب الطفولي البريء والمسهد المؤرق بأوجاع العالم كله، يتم الزج بجون إلى السجن لارتكابه جرمًا فظيعًا حيث قتل واعتدى على طفلتين صغيرتين، وجدوهما ميتتان بين ذراعيه الضخمتين وهو يبكي وينوح ويغمغم بأشياء عن عدم استطاعته مساعدتهما وعن فوات الأوان، وهو ما بدا كشهادة اعتراف لمعتقليه، هذا هو كل ما عرفه بول عن سبب إعدامه، كان جون سجينًا هادئًا ومتعقلًا مما أراح سجّانيه فقد كان رجلًا ضخمًا وسيصعب السيطرة عليه إذما أصبح هائجًا، وفي ذات صباح في السجن عرف الضباط أي سر رهيب كان جون يملكه ويخفيه، حيث عانى بول من مرض قض مضجعه وجعله يتألم بحق، وفي ذلك الصباح نظر له جون بعينيه الصافيتين وطلب منه كلمة على انفراد ودون أن يدري كيف فعل ذلك فتح بول الزنزانة وصار مع السجين في مكان مغلق وفجأة وضع جون يده عليه وشعر بول بشيء رهيب وفظيع يسحب منه بينما تلبد وجه السجين الأسود وبات معكرًا مهمومًا وبعد أن رفع يده كان الوجع قد زال عن بول تمامًا وقبل أن تتبدد دهشته نفث جون شيئًا كحشرات سوداء صغيرة من فمه وتلاشت في هواء الزنزانة الرطب، لقد كان جون كوفي معجزة حية حيث امتلك معجزة شفاء وملكة قراءة الأفكار ومعرفة جميع الجرائم المظلمة المخيفة التي تحدث في أنحاء العالم، كان يسمع أصوات المعذبين من الدنيا كافة يصغي لنداءاتهم ودموعهم وصرخاتهم في جوف الليل، بعد معرفته تلك جال بول في شرق المحافظة وغربها وجمع الأدلة التي تثبت براءته فقد كان في موقع الجريمة بعد رحيل الجاني، سمع صرخات الفتاتين المعذبة وحين حاول مساعدتهما كان الأوان قد فات، كانتا قد ماتتا، لكن حتى مع توفر الأدلة لم يصغ إليه أحد فقد كانت الجماهير الغاضبة تريد القاتل المجرم وقد حصلت لهم الحكومة على واحد ولن يسعى أحد لتبرئة رجل أسود شريد من تهمة كتلك خاصة أنه لم يحاول الإنكار!

هكذا، اضطر بول أن يقيد جون بيديه إلى كرسي الإعدام وأن يبلل الإسفنجة التي سينتقل عبرها التيار الكهربائي القاتل ويضعها بنفسه فوق رأس جون، كان جون قد أخبر بول أنه مرتاح لمغادرته هذا العالم الرهيب، مرتاح لأن الأصوات المعذبة ستصمت أخيرًا في رأسه، لكن لحظة الإعدام لم يجد بول السلام على وجه المظلوم الأسود بل وجد فقط الخوف والرعب من المجهول القادم!

في النهاية نعرف أن بول صار عجوزًا للغاية ويكتب مذكراته من دارٍ للمسنين، نعرف أن كل رفاقه قد توفوا، وكذلك فعلت زوجته الحبيبة، ويرقد أخيرًا على فراشه بانتظار الموت أن يزوره كما قد زار كل من عرفهم، ويكتب حينها "لكلٍّ منّا ميل أخضر لابد أن يمشيه حتى يصل لحيث يلاقي حتفه، لكن رباه ... أحيانًا يكون الميل الأخضر طويلًا جدًا".

معلومات الكتاب

الكتاب: رواية "الميل الأخضر The Green Mile"

المؤلف: ستيفين كينج

الناشر: Plume / Penguin

عدد الصفحات: 432 صفحة

تاريخ النشر: 1997

اللغة: الإنجليزية

الرقم المعياري الدولي للكتاب:

ISBN: 0- 452278902

كتب روائية وغير روائية وغير خيالية

دأبت مجلة فكر الثقافية في كل عدد على اختيار عدد من الكتب ذات المتعة والفائدة ووقع اختيار محرري المجلة على مجموعة من الكتب الروائية وغير الروائية وغير الخيالية.

1 - الكتاب: «الأرض المختفية» - تأليف: جوليا فيليبس

خلال الفصل الأول من الرواية التي تعدّ العمل الروائي الأول للكاتبة، ويعكس قدرًا واضحًا من الثقة، تختفي فتاتان صغيرتان فجأة، لتسود حالة من الصدمة أرجاء مدينة تقع على أطراف شبه جزيرة كامشاتكا النائية. وتلي هذا الحادث مجموعة من القصص القصيرة المتداخلة حول شخصيات نسائية متنوعة تأثرت حياتهم جراء ذلك الاختفاء. وتدفع كل قصة من هذه القصص القصيرة التي تتميز بثرائها السردي زمن الرواية بأكملها قدمًا لشهر آخر، وتكشف كيف تحطمت حياة نساء كامشاتكا على الأصعدة الشخصية والثقافية والعاطفية بسبب هذه الجريمة.

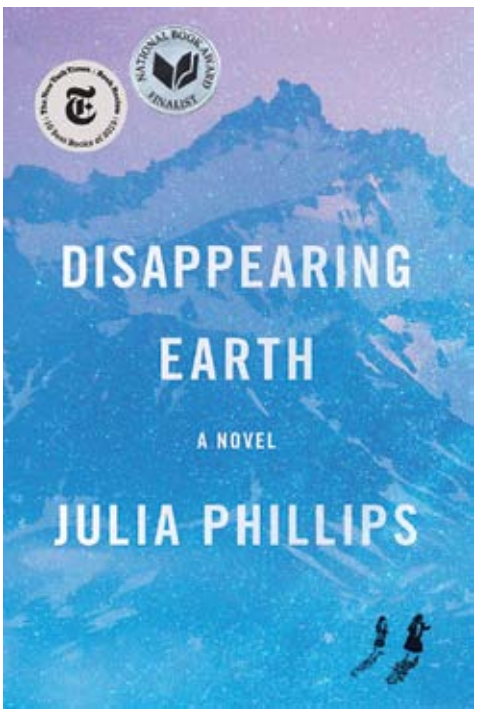

2 - الكتاب: «مدرسة توبيكا» - تأليف: بن ليرنر

تعدّ هذه الرواية الثالثة لليرنر، بعد «الرحيل عن محطة أتوتشا» و«10:04»، وتتميز بثراء لافت، وهي تتنوع بين تصوير الأبوة والأمومة، والطفولة، ومن الذكورية القاتلة؛ حتى تفاصيل دقيقة تخص المرأة، ومن «عقدة أوديب» التي طرحها فرويد؛ حتى أغنية توباك «جميع العيون عليّ».

يعود «آدم جوردون» بصفته بطل الرواية، لكن هذه المرة نجمًا في إحدى المدارس الثانوية، وفي معظم أجزاء الرواية يشار إليه بضمير الغائب. وتشغل مساحات متكافئة من الرواية أصوات والديه، وزميل سابق له يعاني أوجه قصور إدراكية تقف على الطرف المقابل للمزايا التي يتمتع بها آدم.

وتستمر في هذا العمل التساؤلات التي سبق طرحها في الروايتين السابقتين حول الفن والصدق، لكن جحود «آدم» يتسع في هذه الرواية ليتحول إلى عرض من أعراض أزمة إيمان وطنية. ومثلما عودنا من قبل، تبرز موهبة ليرنر دوماً كملحن قادر على تنظيم الآلات الموسيقية بعضها مع بعض في تناغم، وقد تألقت هذه الموهبة في هذا العمل على نحو غير مسبوق.

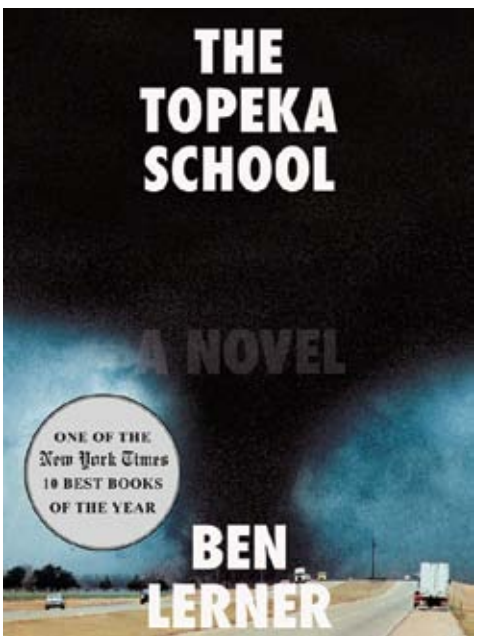

3 - الكتاب: «الزفير» - تأليف: تيد شيانغ

يكشف كثير من القصص التسع الرائعة في هذه المجموعة، التداعيات المادية للسفر عبر الزمن. وتبدو تجربة قراءة هذه المجموعة أشبه بتناول العشاء برفقة صديق ينهمك في شرح نظرية علمية لك. كل واحدة من القصص التسع المحبوكة بإتقان تطرح تساؤلاً فلسفياً، في إطار محادثة تبدو بمثابة دائرة كاملة.

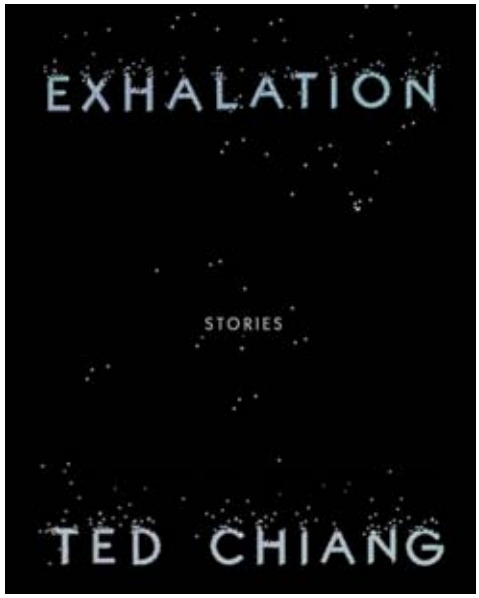

4 - الكتاب: «أرشيف الأطفال المفقودين» - تأليف: فاليريا لويزلي

تعد هذه الرواية الثالثة للكاتبة المكسيكية، والأولى لها باللغة الإنجليزية، وتتكشف أحداث الرواية على خلفية أزمة: أطفال يجتازون الحدود ويواجهون الموت، ثم يتعرضون للاحتجاز ويجري ترحيلهم دون مرافقة ذويهم. الشخصيات الرئيسية هي زوجان وطفلاهما (لم تذكر المؤلفة أسماءهم)، ينطلقون في رحلة برية من مدينة نيويورك حتى الحدود المكسيكية، في وقت تكون فيه العلاقة الزوجية بين الأب والأم على شفا الانهيار.

وينجح أسلوب لويزلي المتميز في الكتابة في استثارة مشاعر الغضب والشفقة داخل القارئ، لكن ما الذي يمكن أن يفعله المرء بعد قراءة مثل هذه الرواية؟

نظرًا لحساسيتها الشديدة تجاه مثل هذه المآسي، نجحت لويزلي في تقديم كتاب رائع الصياغة.

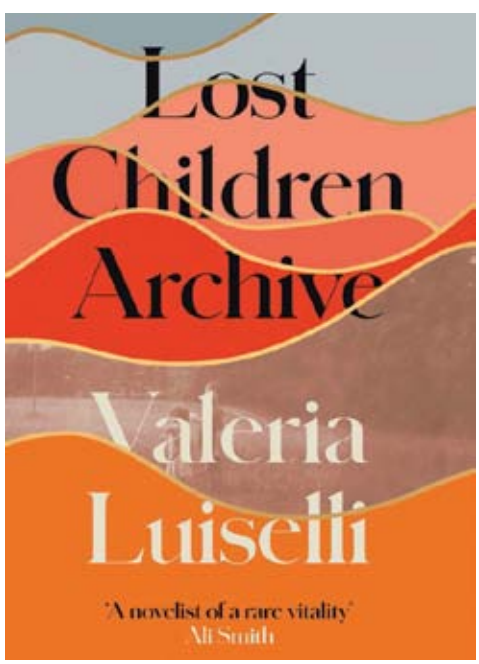

5 - الكتاب: «قارب ليلي إلى طنجة»
تأليف: كيفين باري

مرفأ مهجور للقوارب على أحد السواحل الإسبانية ليس المكان الذي يتوقع فيه المرء أن يلتقي قطعة أدبية ساحرة أو عمل فلسفي حزين، لكن بفضل الشخصيتين الايرلنديتين المحوريتين في رواية باري، نجد وفرة من الأمرين، بجانب أسلوب سرد ممتع واستدعاء كثيف لذكريات مؤلمة. وتتسم حياة الرجلين بقدر هائل من التداخل لدرجة أن السيدة التي ينتظران وصولها يمكن وصفها بأنها قريبة لكل واحد منهما... لكن هل ستحضر السيدة؟ وهل يهتمان بهذا الأمر حقًا؟ في الواقع، يطرح أسلوبهما المرح وتبادلهما النكات تناولاً جديدًا وذكيًا لمسرحية «في انتظار غودو»، لصموئيل بيكيت.

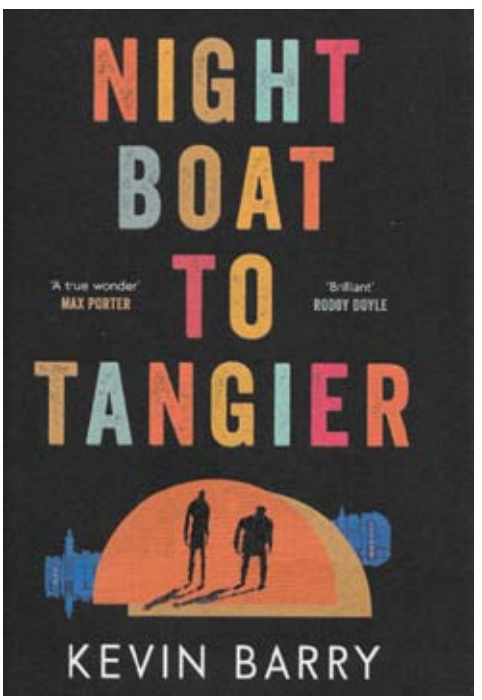

6 - الكتاب: «لا تقل شيئًا»
تأليف: باتريك رادين

في عام 1972، أقدم أشخاص ملثمون على اقتحام منزل جان مكونفيل، وجروا الأرملة، البالغة 38 عامًا والأم لـ10 أطفال، إلى خارج منزلها في بلفاست. في إطار هذا العمل الذي يتميز بدقة بالغة في السرد ووتيرة أقرب إلى الروايات، يستخدم المؤلف قضية قتل مكونفيل منظورًا يطرح من خلاله تاريخ الاضطرابات في آيرلندا الشمالية عبر عقد مقابلات مع أشخاص من كلا طرفي الصراع. وبذلك نجح في كتابه في تحويل الأضرار المأساوية التي شهدتها هذه الحقبة إلى ملحمة أخاذة ومثيرة.

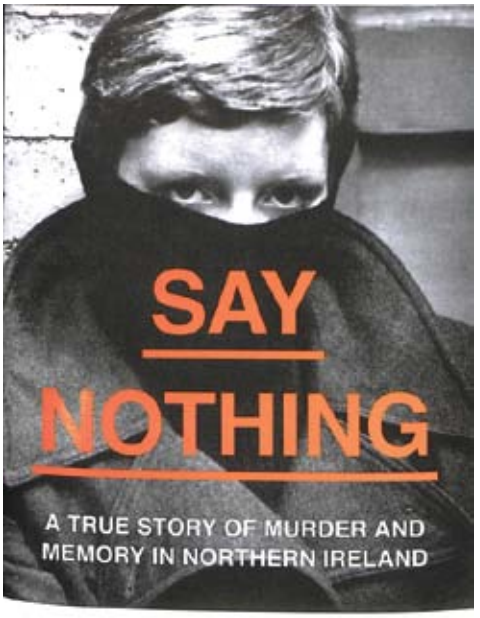

7 - الكتاب: «النادي»
تأليف: ليو دامروش

لم يرغب الرسام الإنجليزي جوشوا رينولدز سوى في إدخال البهجة على نفس صديقه صامويل جونسون الذي غلبت عليه حالة مزاجية سوداوية. لكن جلسات الثرثرة التي اقترح عقدها ليلة الجمعة في «تركس هيد تافرن» ستنتهي بها الحال إلى اجتذاب جميع الشخصيات اللامعة في بريطانيا أواخر القرن الـ18. ونجح دامروش في جمع هذه الشخصيات الرفيعة معًا داخل النادي، وإعادتها إلى الحياة. لقد صور المؤلف جونسون ورينولدز وإدموند بيرك وآدم سميث والممثل ديفيد غاريك والمؤرخ إدوارد غيبون، وبطبيعة الحال المؤرخ المناصر لجونسون، جيمس بوسويل، بشكل رائع. وباختصار، جمع الكاتب «كوكبة من المواهب التي نادرًا ما أنجب العالم مثيلاً لها».

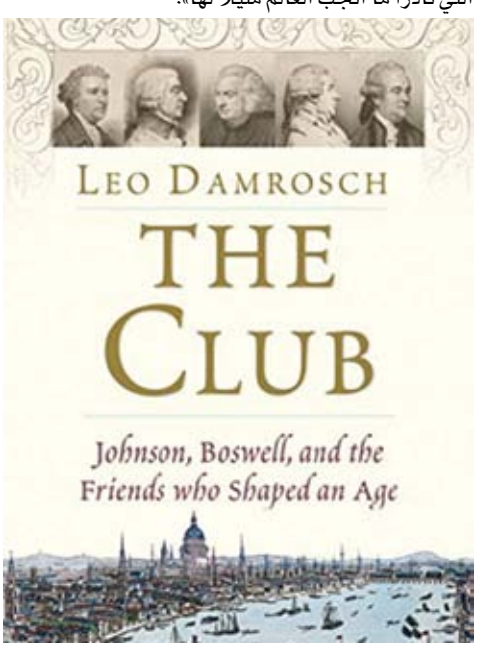

8 - الكتاب: «المنزل الأصفر»
تأليف: سارة إ. بروم

في بداية استثنائية لها في الكتابة الأدبية، تجاوزت بروم التوقعات الأساسية المرتبطة بكتابة السير الذاتية لتخلق عملاً يجمع في ثناياه مجموعة مبتكرة من الأساليب الأدبية، فالكتاب في جزء منه يطرح تاريخًا شفهيًا، وفي جزء آخر تاريخًا حضريًا، وفي جزء آخر يبدو احتفاءً بأسلوب حياة ولّى ومضى. بصورة عامة، يعج «المنزل الأصفر» بإدانة كاملة لرذائل الجشع والتمييز واللامبالاة والتخطيط الرديء للمدن الذي أسفر في نهاية الأمر عن محو منزل أسرتها من على الخريطة. وعبر ثنايا الكتاب، تقتفي الكاتبة آثار منزل واحد في منطقة نيو أورليانز إيست (منطقة تبلغ مساحتها 50 ضعف فرنش كورتر، ومع هذا لا وجود لها في أغلبية الخرائط السياحية)، من ستينيات القرن الماضي حتى إعصار كاترينا. وفي جوهره، يتفحص هذا الكتاب الممتع الماضي والحاضر والمستقبل المحتمل لمدينة نيو أورليانز.